دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، خریف ۱۳۹۳، العدد الثالث والعشرون: صص ۴۵- ۵۷

دور القرآن فی توحید المجتمع فی نظرة العلامة الطباطبائی

سیدمهدی سلطانی رنانی*
محمدرضا حاجی اسماعیلی**
محمدرضا ستوده نیا***
سیدمهدی لطفی****

تاریخ الوصول: ۹۲/۹/۵
تاریخ القبول: ۹۳/۳/۷

الملخّص

من وجهة نظر *العلامة الطباطبائی* یعتبر بناء ونشر الوحدة الاجتماعیة أحد الأدوار الاجتماعیة للقرآن الکریم. فیعتبر *العلامة الطباطبائی* الوحدة سبباً للعزة واقتدار الأمة الإسلامیة، وقد ذکر الوحدة کنعمة خاصة من الله سبحانه وتعالی. وقد عدَّ مهمة القرآن فی هذا المجال التخطیط للعمل لبسطها. فلا تنحصر تلک المهمة علی الشعارات والتوصیات فقط. ویعتقد بأن القرآن إضافة إلی التخطیط والترسیخ لأسباب الوحدة، یشیر إلی أسباب التفرقة کآفة اجتماعیة لهذا المهمة ویحارب أسباب الخلاف ویقدّم حلولاً ملموسة وذات مصداقیة لدفع هذه الآفات. تبیّن هذه الدراسة معتمدةً علی آراء *العلامة الطباطبائی* فی تفسیر «المیزان»، مدی الأهمیة ومکانة الوحدة الاجتماعیة فی حیاة الإنسان وقد ناقشت مهام القرآن فی هذا المجال وأسباب التفرقة والحلول للتخلص منها.

الکلمات الدلیلیة: الاجتماع، الوحدة الاجتماعیة، الأمة الاسلامیة، تفسیر المیزان، التفرقة، الاختلاف، الأخوة، المجتمع الاسلامی.

* طالب الدکتورا فی فرع علوم القرآن والحدیث فی جامعة اصفهان(المقالة المقتبسة من اطروحة الدکتورا).
smahdi.soltani224@gmail.com
** الاستاذ المشارک فی کلیة الآداب و العلوم الانسانیة بجامعة اصفهان، فرع علوم القرآن والحدیث.
m.hajis1@yahoo.com
*** الاستاذ المشارک فی کلیة الآداب و العلوم الانسانیة بجامعة اصفهان فرع علوم القرآن والحدیث.
bayanelm@yahoo.com
**** الاستاذ المساعد فی کلیة الآداب و العلوم الانسانیة بجامعة اصفهان فرع علوم القرآن والحدیث.
الکاتب المسؤول: سیدمهدی سطانی رنانی

المقدمة

تعتبر الوحدة الاجتماعية غاية سامية لكل مجتمع إسلامى وإنسانى. ولايخلو قلب كل مسلم يحب شعبه عن أمل تحقيق هذه الغاية. وتعد حجر الأساس الذى يؤمّن قوام حياة الإنسان ويؤدى إلى بناء أمة موحدة، شاملة، معتدلة، مثالية وخاضعة للحق وباسطة للعدل. يدل على هذا الأمر العقل وناهيک عن ذلک تدل عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية وسيرة الأئمة للمذاهب. يدعو القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى الوحدة ويشير إليها كنعمة إلهية(آل عمران/ ١٠٥-١٠٣).

لقد أكّدت على الوحدة الاجتماعية كثيرا من أحاديث المعصومين وأشير إلى الأدوار العملية لها. يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «مَثَلُ الْمُؤمِنينَ فی تَوَادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِم مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَکی مِنهُ عُضْوٌ تَداعی لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحَمَّی»(رازی، ١٣٧٥: ج٢، ٤٥٠، فی شرح الآية١٠٣ آل عمران؛ مجلسی، ١٤٠٣: ج ٧٤، ٢٧٤؛ متقی هندی، ١٣٩٩: ج١، ١٤٣).

لقد ذكر *العلامة الطباطبائی* الوحدة الاجتماعية على أنها القوة والآلة الرئيسيتن وأمر منشود فی حياة الإنسان. ويعتبر من وظائف الوحدة نشر التعاون الاجتماعی، إزالة الفرقة والخلاف من المجتمع، بسط روح الأخوة، إيجاد روح المحبة والرحمة، نشر الأمان والسكينة والدفاع عن قوة وسيطرة المجتمع الإسلامی. وكذلک يعتبر زوال هذا المحور القرآنی الهام سببا لازدياد الخلافات، ضعف العزائم والقضاء على العزة المعنوية للإنسان(العلامة الطباطبائی، ١٣٨١: ج٣، ٢٤٣-٢٤٢ و ج١٧، ١٥١).

أهم الأسئلة الرئيسيّة التی تدور حولها هذه الدراسة هی:

١. ما أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية فی حياة الإنسان باعتبارها دوراً مرغوبا به؟

٢. ما دور القرآن فی الوحدة الاجتماعية فی حياة الإنسان؟

٣. ما أسباب الفرقة والخلاف فی المجتمع الإسلامی وما الحلول لإزالتها؟

تمت هذه الدراسة بأسلوب الوصفی – التحليلی معتمدة على آراء *العلامة الطباطبائی* فی تفسير «الميزان». وقد جمعت مواد وبيانات هذه الدراسة من خلال قراءة الكتب وتحليلها.

شرح المفاهیم الرئیسیة

الدور

هذه المفردة مأخوذة من مفردة «function» الإنجلیزیة وتعنی أداء مهمة؛ وفی العربیة لها مترادفات مثل الدور والعمل والخدمة والوظیفة. وتأتی فی علم الحساب بمعنی الدالة الریاضیة. وفی علم الاجتماع تأتی بمعنی الدور الذی یتولاه عضو أو جزء من الکل وسیُؤدیه. وکذلک تأتی بمعنی الأثر الذی تترکه کل ظاهرة من سلسلة ظواهر ترتبط بهذه الظاهرة (ساروخانی، ۱۳۷۰: ۳۰۴-۳۰۳).

الوحدة

هذه المفردة مأخوذة من جذر «وحد» و «یحد»، «حده» و «واحداً» وتعنی تَوَحُّد وأَحَادِیَّة وفَرْدِیَّة(ابن فارس، ۱۳۸۹، ج۶، ۹۰؛ دهخدا، ۱۳۷۳: ج۱، ۸۴۴). قد أشار *راغب* إلی أن مفردة «الوحدة» مأخوذة من مفردة «الواحد». والواحد فی الواقع شیء لا یتکون من أجزاء أبدا وبعد ذلک أطلقت مفردة «الواحد» علی کل شیء ویوصف بالوحدة(راغب الاصفهانی، ۱۴۱۲: ۷۵۷). المفهموم التحلیلی لهذه المفردة یدل علی اتحاد الشیئین أو أکثر، وبعبارة أخری یکمن فی مفهومها توحد الألوان وتوحد الآراء وتوحد المسار.

العلامة الطباطبائی یعرِّف الوحدة بالتوحید الاجتماعی الذی یؤدی تحققه إلی الآثار الایجابیة فی العلاقات بین الناس ویسفر عن الاحترام المتبادل بینهم. کذلک فإن تحققه یمنع الطموح إلی تحقیق بعضهم أفضلیة علی بعضهم الآخر ویمنع العنصریة. یعبر *العلامة* فی موضع آخر عن هذه المفردة فی إطار الأمة وبنظرة اجتماعیّة ویقول: الأمة التی تحظی بالوحدة الاجتماعیة هی الأمة التی شعبها ذو هدف واحد ومقصد واحد وهذا المقصد الواحد یبنی علاقة واحدة بین الأشخاص(نفس المصدر، ۱۳۸۱: ج۲، ۱۸۵).

وهذه العلاقة ودعوة القرآن إلیها بعیدة عن الجهل والتقلید الأعمی. وفی الواقع هی الاعتماد علی القواسم المشترکة بدلا عن المفارقات(نفس المصدر، ج۶: ۲۸۰). تعنی الوحدة الاجتماعیة بین المسلمین تجنبهم عن الازدواجیة والخلاف. وکذلک تعنی وقوفهم فی صف واحد ضد أعدائهم المشترکین. وهذه الوحدة تنبع عن البشریة والمیل إلی الجماعة(مطهری، ۱۳۸۰: ج۲، ۲۰۵).

أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية فی حياة الإنسان

من النظرة القرآنية لا شک فی أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية فی حياة الإنسان. ويمكن أن نقول بحزم إن أحد أدوار القرآن فی حياة الإنسان والذی تم التأكيد عليه أكثر من كل شیء آخر، هو الوحدة الاجتماعية، و سبب ذلک يعود إلی:

١. الإنسان كائن اجتماعی ويعيش فی المجتمع ولا يمكنه تحقيق الكمال، نيل الفضائل الإنسانية، الحصول على المنافع الشرعية والدفاع عنها وكذلک الاستمتاع بالنعم الإلهية إلا فی ظل الوحدة الاجتماعية(الطباطبائی، ١۴١٧: ج٢، ١٨٢؛ حكيم، بی‌تا: ٢٩).

٢. الإنسان بطبعه يمضی نحو الخلاف ومن جانب آخر يسير نحو الحضارة والاجتماع وبما أن فطرة الإنسان تؤدی إلی الخلاف فلا يمكن للإنسان أن يمنع فطرته من ذلک. لذلک فإن الله ومن أجل إزالة الخلاف والحفاظ على الوحدة أرسل الرسل ووضع القوانين وأرشد الإنسان إلی الكمال الذی يليق به ليحظی الإنسان فی ظل ذلک بالسعادة الحقيقية لنفسه(الطباطبائی، ١۴١٧: ج٢، ١٨٣).

٣. الوحدة الاجتماعية تؤدی إلی انسجام أفراد المجتمع فی المقصد والهدف فبهذا السبب تطلق الأمة الواحدة عليهم. لأنهم يعيشون ببساطة ودون شجار فلن يوجد أی خلاف بينهم فی المذهب والعقيدة(راجع: المصدر السابق، ١٣٨١: ج٣، ٢٣٧-٢٣۶).

۴. زوال الوحدة الاجتماعية يؤدی إلی الوهن وعدم الرغبة وعدم تحمل المسؤولية حيال أداء الواجبات الاجتماعية، والقيام بالأدوار الاجتماعية فی المجتمع الإسلامی ويقضی على اقتدار المجتمع الإسلامی. وكذلک تسفر عن زوال أهمية القيم المشتركة وإن الرقابة الاجتماعية ستفقد بذلک تأثيرها.

فی مثل هذه الظروف ينهار أساس المجتمع وتتفكک الحياة الاجتماعية فيعانی المجتمع من الفوضی. تتلاشی الوحدة ويختفی النظام من المجتمع وتخرج حياة الإنسان عن اتزانها وتتأزم ويعانی الناس من النتائج السلبية فی الدنيا والعذاب الكبير فی الآخرة(الطباطبائی، ١٣٨١: ج٣، ٥٧٥-٥۶٩؛ جوادی آملی، ١٣٨٩: ٢۴٩ و ٣٨٠-٣٧٩).

۵.العديد من الآيات القرآنية (راجع: آل عمران/ ١٠٣؛ انفال/ ۴۶) يشير إلی أن الوحدة الاجتماعية التی تبنی على أساس العقائد والتقاليد المشتركة هی مبدأ إلهی يؤدی إلی السعادة للمجتمعات فی الدنيا والآخرة، ويعرض على الإنسان كيفية التعايش مع الآخرين

رغم وجهات النظر المختلفة. بينما يؤدى حب النفس والتكبر وإثارة بعض الخلافات فى وجهات النظر إلى إزالة الانسجام الاجتماعى وضعف بنية المجتمع والقضاء عليه نهائيا(راجع الطباطبائى، ١٣٨١: ج٦، ٢٨٢-٢٨٠).

الأدوار القرآنية فى الوحدة الاجتماعية

تنمية التعاون الاجتماعى

من أدوار القرآن فى الوحدة الاجتماعية نشر التعاون الاجتماعى وتعاون الناس مع بعضهم. حسب وجهة النظر الإسلامية فإن أعضاء المجتمع الإسلامى هم أعضاء جسد واحد(الكلينى، ١٣٦٥: ج٢، ١٦٥) ويشارک بعضهم البعض فى الهموم ويجب عليهم أن يتكاتفوا ليحلوا المشاكل بالتعاون.

إن الله يدعو الجميع فى القرآن الكريم إلى التعاون والمشاركة فى الخير والتقوى وعدم التعاون فى الإثم والعدوان(المائدة/ ٢) ومن جانب آخر ينتقد ضعف وخمول بعض المسلمين فى إحقاق الحقوق للمحرومين والمشردين من أوطانهم ويعاتبهم قائلا:

﴿وَمَالَكُمْ لاَتُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ﴾(نساء/ ٧٥)

من مصاديق الأدوار القرآنية فى الوحدة الاجتماعية من أجل تنمية التعاون فى المجتمع الإسلامى وحياة الإنسان: إلقاء التحية على كل مؤمن عند زيارته(انعام/٥٤)، رد التحية بأفضل أسلوب حتى أثناء الصلاة(الكلينى، نفس المصدر، ج٣: ٣٦٦)، الحضور الفعال فى الاجتماعات الدينيّة مثل صلاة الجماعة والجمعة ودفع الزكاة(بقره/ ٤٣)، الالتزام نحو الأقارب والجيران من أى شعب أو دين كانوا(النساء/٣٦)، حب الخير والتعبير عن أخلص الأمانى القلبية وطلب الرحمة والمغفرة من الله لإخوته المؤمنين(الحشر/١٠؛ إبراهيم/ ٤١).

العلامة الطباطبائى فى تفسير الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران خلال شرح الواجبات الاجتماعية المتعلقة بتنمية التعاون فى المجتمع الإنسانى يشير إلى الملاحظات التالية:

١. فى إطار المجتمع تؤدى الوحدة والتعاون الاجتماعى إلى توحيد القدرات الفردية وتسفر عن قوة هائلة. ويجب على الإنسان فى كافة الظروف والأزمنة أن يجمع قدراته المعنوية ويرتب شؤون حياته فى ظل التعاون الاجتماعى.

٢.نظراً إلى أن التعاون الاجتماعى يهدف إلى الحصول على السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة، ورد فعل «رابطوا» فى تلك الآية مباشرة بعد جملة ﴿واتقوا‌الله‌لعلّكم‌تفلحون﴾. ليدل ذلک على أن السعادة الكاملة والحقيقية لا تتحقق إلا فى ظل التعاون الاجتماعى.

٣. الأمر بتأسيس المجتمع والتعاون الاجتماعى على أساس الاتحاد والتوحيد، يؤدى إلى الحفاظ على المصالح المادية والمعنوية والدفاع عن المجتمع الإنسانى(الطباطبائى، ١٣٨١: ج٧، ١٥٨-١٥٤).

تحرير المجتمع من التفرقة والاختلاف

للعلامة الطباطبائى حول هذا الدور وجهة نظر عميق ولافت للانتباه فى علم الاجتماع. العلامة فى البداية يقوم بتحليل كيفية حدوث الخلاف بين الناس وثم يبين الحلول التى تسفر عن تقليل الخلاف وإصلاحه. وبعد ذلک، حول كيفية نشوء الخلاف يقول: «لكل إنسان نزعة تدفعه إلى توظيف الآخرين واستغلالهم».

الآن إذا أضفنا إلى ما سبق هذه الملاحظة بأن الأشخاص بالضرورة يختلفون فى الخلق ومنطقة الحياة والعادات والأخلاق التى تنبع عن الخلق ومنطقة الحياة، نستنتج من ذلک أن اختلاف الشرائح يهدد دائما العدالة الاجتماعية والمجتمع الصالح، ويريد كل قوى استغلال الضعيف ويعطى الضعيفَ أقل مما يأخذ منه.

والأسوأ من ذلک أن الغالب يريد استغلال واستبعاد المغلوب دون يدفع له شيئا، وبالتالى يُجبَر المغلوب بالضرورة على أن يلجأ إلى الخدعة والمكيدة ضد الغالب إلى أن يحصل على القدرة وينتقم من الظالم أشد الانتقام بسبب ظلمه. إذن فإن نشوء الخلاف سيؤدى فى النهاية إلى الفوضى ويقضى على البشر. مما يعنى أنه يسلب الإنسانَ فطرتَه ويفسد سعادته وتشير الآية التالية إلى هذه القضية: ﴿وَما‌كانَ‌النّاسُ‌الاّ‌اُمّةً‌واحِدَةً‌فَاختَلفوا﴾ (يونس، ١٩) (الطباطبائى، ١٤١٧: ج٤، ١٤٨-١٤٦). وأردف العلامة قائلا: وكذلک الآية التالية:

﴿وَ‌لا‌يزالونَ‌مُختلفينَ‌الاّ‌مَن‌رَحِمَ‌ربُّكَ‌وَلذلكَ‌خَلَقَهُم﴾(هود/ ١١٨)

وكذلک الآية التى كانت محور النقاش:

﴿لِيَحكُمَ‌بَينَ‌النّاس‌فيما‌اختَلَفوا‌فيه﴾(البقرة/ ٢١٣)

کما لاحظتم أن هذا الخلاف أمر ضروری ونشوئه بین أفراد المجتمع محتوم؛ لأن الخلقة مختلفة بسبب اختلاف المواد. رغم أن الجمیع وفقا للمظهر بشر والوحدة فی المظهر إلی درجة ما تؤدی إلی توحید الأفکار والأفعال ولکن الختلاف فی المواد له اقتضاء خاص وهو الاختلاف فی الأحاسیس والإدراکات والأحوال.

إذن یتحد الناس من جانب وفی نفس الوقت یختلفون من جانب آخر. والاختلاف فی الأحاسیس والإدراکات یسفر عن الاختلاف فی الأهداف والآمال. والاختلاف فی الأهداف یؤدی إلی الاختلاف فی الأفعال، وبالتالی یسفر ذلک عن خلل فی النظام الاجتماعی(نفس المصدر، ج۲: ۱۷۷).

الملاحظة الملفتة للنظر فی أقوال *العلامة الطباطبائی* حول هذا الموضوع هی أنه یعتقد بأن الخلاف نابع عن الفطرة ولا یمکن منعه بل یجب تعدیله وإصلاحه. فی کتاب«القرآن فی الإسلام» یشرح کون الخلاف بین الناس فطریا وذاتیا بأن اختلاف البشر ینبع عن العقل مما یعنی أن العقل، نفسه یسبب التزاع والخلاف.

إذن العقل الذی یسبب الخلاف لا یمکنه منع الخلاف، وبناء علی ذلک فإن القوانین والنتائج النابعة من العقل البشری لم تقضِ أبدا علی هذه الخلافات، بل أصبح من الضروری الاعتماد علی الوحدة الاجتماعیة فی ظل تشریع الدین وظهور الوحی(الطباطبائی، ۱۳۷۹: ۸۰؛ الجیاشی، ۱۴۲۶: ۶۰-۵۸).

یمکن تلخیص آراء *العلامة* فی هذا المجال فی هذا القول: إن الوحدة الاجتماعیة المعقولة فی ظل الالتزام بالدین یمکنها إصلاح الفطرة بالفطرة وتخلص المجتمع وحیاة البشر من الخلاف والتفرقة. لأنه کما أن الفطرة اقتضت وحدة واتحاد المجتمعات البشریة، نفس هذه الفطرة تسبب الخلافات بین البشر ومجتمعاتهم والخلاف من الضروریات لحیاة الإنسان الاجتماعیة، إذن یجب أن یتواجد دین إلهی ووحدة إسلامیة من أجل تسویة الخلافات.

نشر الأخوة والإخاء

بما أن المجتمع الإسلامی أُسّس علی أساس العلاقات الودیة والمخلصة فتعتبر الأخوة والإخاء من الأهداف المنشودة فی نشر الوحدة الاجتماعیة. فی الواقع، تشیر الأخوة والإخاء فی الثقافة الأخلاقیة للإسلام إلی الشعور بالقرابة والعلاقة القلبیة الحمیمة بین أعضاء الأمة

الإسلامية. مما يعنى أن الناس يعتبرون المجتمع الذى يعيشون فيه يعود إليهم ويشعرون بالقرابة تجاه الجميع وهذا الإحساس يكون فى سبيل الله سبحانه وتعالى فقط. إذا لم يكن كذلک فسيؤدى الأمر إلى العداوة بينهم فى القيامة(العلامة الطباطبائى، ١٣٨١: ج١٨، ١٨١ و ٤٧٢).

إن تنظيم العلاقات مع الآخرين على أساس الاتجاه نحو الله تعالى وطلب الحق من أهم الطرق لتوظيف طاقات المجتمع من أجل الارتقاء بالفرد وبالأمة الإسلامية. روح الأخوة والإخاء هذه تضمن استمرار الصداقات ونشر المحبة ومادامت تجرى نحو الحق ستكون باقية ومؤثرة وتعبّد الطريق لبناء النفس وبناء الآخرين.

من آثار الأخوة والإخاء فى المجتمع: بناء مجتمع تعم فيه الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة ويشعر كل الناس بالأمان والاحترام ولا يفكرون إلا فى الرقى، التسامى وتطور أنفسهم ومجتمعهم الإسلامى ويعبّدون الطريق نحو رقى أنفسهم والآخرين(الطباطبائى، نفس المصدر: ٤٧٣؛ ابوالحسنى، ١٣٨٨: ٤٦-٥٢).

بناء روح المحبة والرحمة

بسط الوحدة الاجتماعية على أساس طاعة الله ورسوله وفى ظل العمل بأوامرهما وترک نواهيهما، يحقق هدفا منشودا آخرا فى حياة الإنسان وهو بناء روح المحبة والحنان (راجع آل عمران/ ٣١؛ التوبة/ ١٤). تبادل مشاعر الحنان والمحبة بين الناس(الفتح/ ٢٩) يمهد الطريق لمحبة الله وعطاياه الخاصة للإنسان والمجتمع المؤمن بالله. هذه المحبة تعزز الحنان فى قلوب المؤمنين وتجرى فى نفوسهم الفطرة.

ومن أجل استخدام ذلک بأسلوب صحيح يجب تعزيز الأحاسيس السامية والإلهية وإزالة العقبات التى تعيق تنميتها وازدهارها مما يعنى يجب تصفية القلب ونزع الضغينة والخلاف منه، وبعد ذلک يسلک الطريق راكبا سفينة العشق الشديد ماضيا نحو الخالق عز وجل(الطباطبائى، ١٣٦٢: المقالة الـ١٤). إذن يمكن أن نستنتج بأن الوحدة الاجتماعية مع المحبة الإلهية وفى ظل معرفة الحق وتحقق المعايير الأخلاقية فى المجتمع البشرى، تؤدى إلى بناء روح المحبة والحنان بين المؤمنين والأمة المؤمنة بالله (نفس المصدر).

نشر السكينة والأمان

من أهم المهام القرآنية للوحدة الاجتماعية بجميع أنواعها وأشكالها، الحفاظ على السكينة والأمان فی الحياة البشرية والمجتمع الإسلامی وتجنبهم عن الحرب والخلاف والفرقة؛ لأن الوحدة تعزز الشعور بحب الآخرين والتعاون المتبادل وتقضی على جميع الفتن الاجتماعية التی تنبع من الغرور وحب النفس والسعی إلى تحقيق الأفضلية على الآخرين. فی الواقع قد ذكر القرآن التفرقة كشفير حفرة من النار التی الوحدة الاجتماعية تزيل خطر السقوط فی هذه الحفرة وتوفر الأمن للمجتمع الإنسانی(الطباطبائی، ۱۴۱۷: ج۳، ۳۷۱ « ۱۰۳/ آل عمران»).

يجب على الإنسان والأمة الإسلامية والمؤمنة التمسک بحبل الله المتين والعمل بالواجبات الدينية، والالتزام بالحدود الأخلاقية ونشر ثقافة أداء الأمانة والترويج لتحمل المسؤولية والحفاظ على عرض وسمعة الآخرين الاجتماعية والالتزام بالأدب والاحترام للآخرين وتجنب التعصب والكراهية، والابتعاد عن حب الماديات والطمع وكذلک تجنب العداوة مع الآخرين وحب النفس العدوانی. هذه الأمور تسبب الحفاظ على الوحدة الاجتماعية وتوفيرها وبالتالی تؤدی إلى نشر السكينة والأمان فی المجتمع(راجع العلامة الطباطبائی، ۱۳۸۱: ج۱۸، ۴۸۱-۴۸۷).

الحفاظ على قوة وسطوة المجتمع الإسلامی

قد طلب القرآن الحكيم من المسلمين تعزيز القوى الجسمانية والعسكرية من أجل تخويف الأعداء(الانفال/۶۰). لذلک حذرهم من المنازعات واعتبرها تمهيد الأرضية لفقدهم السطوة على قلوب الأعداء(الانفال/۴۶).

يبدو أن وحدة المؤمنين واجتماع الإسلام الإنسانی فی كافة الأصناف على الأصعدة الداخلية والخارجية يؤدی إلى الحفاظ على هذه الهيمنة والسطوة. وإذا أراد المسلمون الحفاظ على هذه القوة والهيمنة على الصعيد العالمی فالسبيل الوحيد لهذا الأمر هو الالتزام بالوحدة والاتحاد(الطباطبائی، ۱۳۸۱: ج۷، ۱۵۱؛ سلطانی رنانی، ۱۳۸۶: ۱۴۲؛ محمدی آشنانی، ۱۳۹۲: ۱۷۴ و ۲۵۶-۲۵۵).

أسباب الخلاف وحلول لإزالته

العلامة الطباطبائی(رحمه الله) يعتبر الالتزام بالقيم العقائدية والعملية للإسلام أمرا ضروريا لنشر الوحدة الاجتماعية فی المجتمع الإسلامی ويعتقد بما يلی:

فی المجتمع المثالی المقبول الذی يهدف القرآن إليه، لا تعتبر الوحدة والتماسک الاجتماعی شعارات وتوصيات أخلاقية محضة بل هی مبادرة عملية أجراها الله فی كافة الشؤون الاعتقادية، الأخلاقية والعملية وفقا لخطة ومسار رئيسی وكذلک فإن الخالق عز وجل قد قام ببناء ثقافتها فی شؤون دينه كافة(الطباطبائی، ١٤١٧: ج١، ٣٤٢-٣٤٠). فی القرآن الكريم بالإضافة إلی تحديد مسار وتعزيز أسباب الاتحاد، تم ذكر أسباب التفرقة على أنها آفة اجتماعية تضرب الوحدة الاجتماعية وطرح حلولا ملموسة وعملية لدفع مضارها(راجع نفس المصدر).

وقد أشار *العلامة الطباطبائی* فی بيانه لأسباب الخلاف والتفاوت إلی" الفوارق والاختلافات فی الصفات الأخلاقية والشخصية والفوارق الدينية والمذهبية وكذلک الفوارق فی العمل والتصرف والفوارق الناتجة عن الأسباب الخارجية." وقد أشار إلی حلول للوقاية منها وكذلک طرق للتخلص منها ومحاربتها:

فيما يخص الحالة الأولی فقد اعتبر أن الحل لهذا التحدی الخطر يمكن فی التربية الدينية للأشخاص، ويقول: «التربية الدينية لها ميزة تزيل كل هذه الخلافات»(نفس المصدر، ج٤: ٢١٧).

ثانياً فقد اعتبر أن الفهم المنهجی للمعارف الدينية فی الشؤون الاجتماعية معيار ومرجع لإزالة الخلافات، ويعتقد بأن فی مجتمع آخر الزمان بسبب وجود الإمام المعصوم واتباع الآخرين له ينشر فهم واحد وصحيح للمعارف الدينية وهذا الفهم لن يقبل الخطأ. وفی المجتمع المثالی فی زمن الغيبة يوجد فهم صحيح ومنهجی للمعارف الدينية فی الشؤون الاجتماعية وذلک بفضل حكم الولی الفقيه الجامع للشرائط وإشراف الخبراء وعلماء الدين طبقا للضوابط النزيهة والشفافة تماما(نفس المصدر، ج١: ٣٤٣).

ثالثاً قد اعتبر نشر الثقافة الدينية فی المجتمع وتجديدها بصورة مستمرة، حلاً لمواجهة الحرب المقامة ضدها ويعتقد بأن القرآن قد كلّف جميع أعضاء المجتمع ليدعوا الآخرين إلی الخير وفی حال عدم إصلاح رؤوس الفساد والمفسدين يجب معاقبتهم ونبذ

مثیری الشبهات لیتم منعهم عن قیادة المجتمع ولعب دور فیه(راجع نفس المصدر، ج۴: ۲۲۱-۲۲۰).

رابعاً یعتقد بأن الخلاف ناتج عن البعد من محل السکن وعدم إمکانیة الحصول علی المعارف الدینیة الحقیقیة أو الخرف والعجز عن الفهم والإدراک الصحیح للحقائق الدینیة. وقد اعتبر أن إزالة هذه الآفة یتوقف علی استعمال الطریقة العملیة التی وردت فی الآیة ۱۵۳ من سورة أنعام. وهی اتباع الصراط المستقیم الإلهی وتجنب الحلول الأخری.

وکذلک قد ذکر حلا آخر فی هذا الشأن وهو حاجة المجتمع إلی تطبیق الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر کفریضة وفی شرح الآیة ۱۰۴ من سورة آل عمران، اعتبر أن تشکیل فرق خاصة لتنفیذ هذه الفریضة أمرا هاما، ویجب الالتزام بالوحدة من جانب والنهی عن التفرقة والخلاف من جانب آخر، ووفقا لوحدة السیاق فإن ذلک یدل بوضوح علی الدور الرئیسی للتثبیت والتماسک الاجتماعی.

وسبب ذلک یعود إلی أنه فی المجتمع الإنسانی کل فرد من أعضاء المجتمع بفضل إداراکه لضرورة وأهمیة الدور الاجتماعی للوحدة یعتبرها مصداقا من المعروف ویهتم بها، ونظرا إلی الخطر الکبیر والمدمر للتفرقة والخلاف أعضاء المجتمع یعتبرهما أعضاء المجتمع أکبر مصادیق المنکر وینهون عنهما. وتتوفر الأرضیة لنشر الوحدة ونفی الخلاف من خلال التزام الجمیع بمسؤولیة الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر الهامة(راجع نفس المصدر، ج۴: ۲۱۱-۱۹۵؛ الجیاشی، ۱۴۲۶: ۷۲-۵۵).

نتیجة البحث

الجمل التالیة تلفت الانتباه إلیها باعتبارها نتائج لهذه المقالة:

۱. حسب وجهة نظر *العلامة الطباطبائی* یُعتبر بناء الوحدة ونشرها إحدی المهام الاجتماعیة للقرآن.

۲. مِن دأب القرآن أنّ الله یأمر بتذکُّر نعمة الوحدة و الاتّحاد، لتکون الدّعوة للوحدة الاجتماعیة علی أساس الخیر والهدایة الصحیحة بدلاً عن الأمر بالتقلید الأعمی.

۳. قد ذکر *العلامة الطباطبائی* الوحدة الاجتماعیة کقدرة وأدات أولیة فی حیاة الإنسان وقد اعتبر تنمیة التعاون الاجتماعی، تخلص المجتمع من التفرقة والاختلاف، نشر الأخوة

والإخاء، بناء روح المحبة والحنان، بسط السكينة والأمن، الحفاظ على قوة المجتمع الإسلامی وهيمنته من الواجبات الهامة لهذا المحور القرآنی.

۴.قد ذكر *العلامة الطباطبائی* الاختلاف والتباين فی الصفات الأخلاقية والشخصية، الاختلاف فی الدين والمذهب، الاختلاف فی التصرف والعمل والخلافات الناتجة عن العوامل الخارجية كأسباب للتفرقة وآفاتها فی طريق تحقق الوحدة الاجتماعية. وقد أشار إلى الحلول العملية للتخلص من هذه الآفات ومحاربة التفرقة: نشر التربية الدينية فی المجتمع، الاتباع الدائم للصراط المستقيم وبالتزامن مع نشر الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر فی المجتمع الإسلامی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الکریم.

ابن فارس، احمد. ۱۳۸۹ق، **معجم مقاییس اللغة**، حقَّقه عبدالسلام محمد هارون، بیروت: دار الجیل.

جوادی الآملی، عبدالله. ۱۳۸۹ش، **المجتمع فی القرآن**، قم: مرکز الاسراء للنشر.

حکیم، سید محمدباقر. بی‌تا، **الوحدة الإسلامیة فی القرآن والسنة**، طهران: مؤسسة تبیان الثقافیة.

الخوری الشرتونی، سعید. ۱۴۰۳ق، **أقرب الموارد**، قم: مکتبة آیة الله مرعشی.

دهخدا، علی‌اکبر. ۱۳۷۳ش، **القاموس**، تحت إشراف محمد معین وسیدجعفر شهیدی، طهران: دار نشر جامعة طهران.

رازی، ابوالفتوح. ۱۳۷۵ش، **تفسیر روض‌الجنان وروح‌الجنان**، حققه محمدباقر یاحقی، مشهد: دار نشر الروضة الرضویة.

راغب اصفهانی، حسین بن ابوالقاسم. ۱۴۱۲ق، **المفردات فی غریب القرآن**، بیروت: دار الشامیة.

ساروخانی، باقر. ۱۳۷۰ش، **موسوعة العلوم الاجتماعیة**، الطبعة الأولی، طهران: دار نشر کیهان.

سلطانی رنانی، سید مهدی. ۱۳۸۶ش، **نظرة إلی مکانة ومفهوم الوحدة الوطنیة فی القرآن**، نشرة طلوع الفصلیة، رقم ۲۴، قم: مدرسة الإمام الخمینی العلیا.

الطباطبائی، سید محمدحسین. ۱۴۱۷ق، **المیزان فی تفسیر القرآن**، بیروت: مؤسسة الاعلمی للمطبوعات.

الطباطبائی، سید محمدحسین. ۱۳۶۲ش، **نهایة الحکمة**، قم: مؤسسه نشر الاسلام.

المجلسی، محمدباقر. ۱۴۰۳ق، **بحار الأنوار**، بیروت: مؤسسة الوفاء.

محمدی آشنانی، علی. ۱۳۹۲ش، **المجتمع المثالی من منظور القرآن الکریم**، الطبعة الأولی، قم: دار نشر بوستان کتاب.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی